ملحق

(النصوص الشعــرية)

أ ـ سِفر الخروج (أغنية الكعكة الحجرية) .
ب ـ أقــوال جـديدة عن حــرب البسـوس .

obeikan.com

ـ أ ـ

سِفر الخروج
(أغنية الكعكة الحَجَريَّة)

*****

(الإصحاح الأول)

أيُّهَا الواقفونَ على حَافةِ المَذْبَحَهْ
أشهرُوا الأسلحَهْ !
سَقطَ الموتُ ، وانفرطَ القلبُ كالمِسْبَحَهْ .
والدَّمُ انسَابَ فوقَ الوشَاحْ!
المَنَـازِلُ أضْـرحَةٌ ،
والزَّنَازِنُ أضْرِحَةٌ ،
والمدَى .. أضْرِحَهْ
فارفعُوا الأسلحَهْ
واتبَعُونِي !
أنا ندمُ الغدِ والبَارِحَهْ
رايتي : عظمتانِ .. وجمجمةٌ ،
وشعَاري : الصَّبَاحْ !

(الإصحاح الثاني)

دَقَّتِ السَّاعَةُ المُتْعَبَهْ
رفعَتْ أمُّهُ الطيِّبَهْ
عينهَا..!
(دفعتْـهُ كعُوبُ البنادقِ فِي المَرْكبة !)
... ...
دَقَّتِ السَّاعَـةُ المُتْعَبَهْ
نهضتْ ؛ نسَّقتْ مَكتبَهْ ..
(صَفعَتْهُ يَدٌ ..
ـ أدخلتْـهُ يَدُ اللهِ في التجربَهْ !)

obeikan.com

... ...

دَقَّتِ السَّاعَةُ المُتعَبَهْ
جَلَسَتْ أمَّهُ ؛ رَتَّقتْ جَوْرَبَهْ..
- (وَخَزَتهُ عُيونُ المُحَقِّقِ..
حتى تفجَّرَ مِنْ جلدهِ الدَّمُ والأجْوبَهْ !)

... ...

دَقَّتِ السَّاعَةُ المُتعَبَهْ !
دَقَّتِ السَّاعَةُ المُتعَبَهْ !

(الإصحاح الثالث)

عندمَا تهبطينَ على سَاحَةِ القومِ ؛ لا تبدئِي بالسَّلامْ .
فهمُ الآنَ يقتسِمُونَ صِغَارَكِ فوقَ صِحَافِ الطعَامْ
بعدَ أنْ أشعَلوا النارَ فِي العُشِّ ..
والقشِّ ..
والسُّنبُلهْ !
وغداً يذبحُونكِ ..
بحثاً عن الكنزِ فِي الحَوْصَلهْ !
وغداً تغتدِي مُذْنُ الألفِ عَامْ !
مُذْنَاً .. للخِيَامْ !
مُذْنَاً ترتقِي دَرَجَ المقصَلهْ !

(الإصحاح الرابع)

دَقَّتِ السَّاعَةُ القَاسِيَهْ
وقفوا فِي مياديِنهَا الجَهْمَةِ الخَاوِيَهْ
واستداروا على دَرَجَاتِ النصبْ
شَجَرَاً مِنْ لهَبْ
تعصِفُ الرِّيحُ بينَ وريقاتِهِ الغَضَّةِ الدَّانِيَهْ
فيِنِنُّ : " بلادِي .. بلادِي "
(بلادِي البَعِيدَهْ !)

... ...

دَقَّتِ السَّاعَةُ القاسِيَهْ
" انظروا .."؛ هَتَفتْ غانِيَهْ
تتلوَّى بسيَارةِ الرَّقمِ الجُمْرُكِي ؛
وتمتمتِ الثانيَهْ :
سَوفَ ينصرفونَ إذا البَرْدُ حَلَّ .. ورَانَ التعَبْ .

... ...

دَقَّتِ السَّاعَةُ القاسِيَهْ
كانَ مِذيَاعُ مَقْهَى يذيعُ أحَادِيثَهِ البَاليَهْ
عن دُعَاةِ الشغَبْ
وهُمْ يَستديرونَ ؛
يشتعلونَ - على الكَعْكَةِ الحَجَريَّةِ - حَوْلَ النَّصبْ
شَمْعِدَانَ غَضَبْ
يتوَهَّجُ فِي الليلِ..
والصَّوتُ يَكتسِحُ العَتَمَةَ البَاقِيَهْ
يتغنَّى لليلةِ ميلادِ مِصرَ الجَدِيدَهْ !

(الإصحاح الخامس)

اذكريني !
فقدْ لوَّثتني العَناوينُ فِي الصُّحُفِ الخَائِنهْ !
لوَّنتني .. لأنيَ - مُنذ الهَزيمَةِ - لا لونَ لِي
(غيرَ لونِ الضَّيَاعْ !)
قبلَهَا ؛ كنتُ أقرَأ فِي صَفحَةِ الرَّمْلِ..
(والرَّمْلُ أصْبَحَ كالعُمْلَةِ الصَّعْبَةِ ،
الرَّمْلُ أصْبَحَ : أبْسِطَةً .. تحتَ أقدَامِ جيشِ الدِّفاعْ)
فاذكريني ؛ .. كمَا تذكرينَ المُهَرِّبَ.. والمُطربَ العَاطِفِيَّ .
وكابَ العَقيدِ .. وزينَةَ رأسِ السَّنَهْ .
اذكريني إذا نسيتِني شُهُودُ العيانِ
ومَضْبَطَةُ البَرلمَانِ
وقائمةُ التُّهَمِ المُعْلَنهْ

والوَدَاعَ !
الوَدَاعْ !

(الإصحاح السادس)

دَقّتِ السَّاعَةُ الخامِسَهْ
ظهرَ الجُنْدُ دَائرَةً مِنْ دروعٍ وخُوذاتِ حَرْبْ
هَا هُمُ الآنَ يقتربونَ رُويداً.. رُويداً ..
يجيئونَ مِنْ كلِّ صَوْبْ
والمُغنونَ - فِي الكَعْكَةِ الحَجَرِيَّةِ - ينقبضُونَ
وينفرجُونَ
كنبضةِ قلبْ !
يُشعِلونَ الحَناجرَ ،
يستدفئونَ مِن البَرْدِ والظلمَةِ القارسَهْ
يَرفعونَ الأناشيدَ فِي أوجهِ الحَرَسِ المُقتربْ
يشبكونَ أياديهمُ الغَضّةَ البائِسَهْ
لتصيرَ سِيَاجاً يَصُدُّ الرَّصَاصَ ! ..
الرَّصَاصَ ..
الرَّصَاصَ ..
وآهٍ ..
يغنونَ : " نحنُ فداؤكِ يَا مِصْرُ "
" نحنُ فداؤ .. "
وتسقطُ حنجَرَةٌ مُخرسَهْ
مَعَهَا يَسقطُ اسمُكِ - يَا مِصْرُ - فِي الأرضِ !
لا يتبقّى سِوَى الجَسَدِ المُتَهَشِّمِ.. والصَّرَخاتِ
على السَّاحَةِ الدَّامِسَهْ !
دَقّتِ السَّاعَةُ الخامِسَهْ

... ...

دَقّتِ الخامِسَهْ

... ...

دَقّتِ الخامِسَهْ

... ...

وتفرَّقَ مَاؤكَ - يَا نَهْرُ - حِينَ بلغتَ المَصَبْ !

* * *

المَنَـازِلُ أضْـرِحَةٌ،
والزّنَازِنُ أضْرِحَةٌ،
والمدَى.. أضْرِحَهْ
فارفعُوا الأسلحَهْ !
فارفعُوا
الأسلحَهْ

*****

1972م

obeikan.com

ـ ب ـ
(أقوال جديدة عن حرب البسوس)

مقتـل كليب
(الوصايا العشـر)

*****

فنظر (كليب) حواليه وتحسَّر، وذرف دمعة وتعبَّر ، ورأى عبدًا واقفًا ، فقال لـه : أريد منك يا عبد الخير ، قبل أن تسلبني ، أن تسحبني إلى هذه البلاطة القريبة من هذا الغدير ؛ لأكتب وصيتي إلى أخي ، الأمير سالم الزير ، فأوصيه بأولادي ، وفلذة كبدي ، فسحبه العبد إلى قرب البلاطة ، والرمح غارس في ظهره ، والدم يقطر من جنبه .. فغمس (كليب) إصبعه في الدم ، وخط على البلاطة ، وأنشأ يقول :

قصة الأمير سالم الزير

لا تُصَالِحْ !

(1)

لا تُصَالِحْ !
ولو مَنَحُوكَ الذهَبْ
أترى حينَ أفقأ عينيكَ ،
ثمَّ أثبِّتُ جوهرتينِ مكانهمَا ..
هَلْ تَرَى .. ؟
هي أشياءُ لا تُشترَى ...
ذكرياتُ الطفولةِ بينَ أخيكَ وبينكَ ،
حسَّكما ـ فجأةً ـ بالرجولةِ
هذا الحَياءُ الذي يكبتُ الشوقَ .. حينَ تعانقُهُ ،
الصَّمْتُ ـ مُبتسمينْ ـ لتأنيبِ أمِّكُمَا ..
وكأنكمَا
مَا تزالانِ طفلينِ !

تلكَ الطمأنينةُ الأبديَّةُ بينكمَا :
أنَّ سيفانِ سيفكَ..
صوتانِ صوتكَ
أنكَ إن متَّ :
للبيتِ ربٌّ
وللطفل أبْ
هلْ يصيرُ دمي - بينَ عينيكَ - مَاءً ؟
أتنسَى ردائِي المُلطَّخَ ..
تلبسُ - فوقَ دِمَائِي - ثِيابًا مطرَّزَةً بالقصَبْ ؟
إنهَا الحَربُ !
قدْ تثقلُ القلبَ
لكنَّ خلفكَ عَارَ العَرَبْ
لا تُصَالِحْ
ولا تتوَخَّ الهَرَبْ !

(2)

لا تُصَالِحْ على الدَّمِ.. حتى بدَمْ !
لا تُصَالِحْ! ولو قِيلَ رأسٌ برأسِ !
أكلُّ الرؤوسِ سَواءٌ ؟
أقلبُ الغريبِ كقلبِ أخيكَ ؟!
أعيناهُ عينا أخيكَ ؟
وهلْ تتساوى يدٌ .. سيفهَا كانَ لكْ
بيدٍ سيفُهَا أتْكَلكْ ؟!
سيقولونَ :
جنناكَ . كُنْ - يا أميرُ - الحَكمْ
سيقولونَ :
هَا نحنُ أبناءُ عَمْ ..
قُلْ لهُمْ : إنهُمْ لمْ يُراعُوا العُمُومَةَ فيمَن هَلكْ .
واغرسِ السَّيفَ في جبهةِ الصَّحرَاءِ ..
إلى أنْ يُجيبَ العَدَمْ .

إنني كنتُ لكْ
فارساً .
وأخاً .
وأباً .
ومَلِكْ !

(3)

لا تُصالِحْ ..
ولو حرمتكَ الرُّقادْ
صرخاتُ الندامَهْ
وتذكَّر ..
(إذا لانَ قلبُكَ للنسوةِ اللابساتِ السَّوادَ ولأطفالهنَّ الذينَ
تخاصمهُمْ الابتسَامهْ)
أنَّ بنتَ أخيكَ " اليمَامَهْ "
زهرةٌ تتسربلُ - في سنواتِ الصِّبَا -
بثيابِ الحِدَادْ
كنتُ ، إنْ عدتُ :
تعدو على دَرَجِ القصرِ ،
تمسكُ ساقيَ عندَ نزولِي ..
فأرفعُهَا - وهيَ ضَاحِكَةٌ -
فوقَ ظهرِ الجَوَادْ .
هَا هِيَ الآنَ .. صَامتَةٌ .
حَرَمتهَا يَدُ الغدرِ :
مِنْ كلمَاتِ أبيهَا ،
ارتداءِ الثيابِ الجَديدَةِ ،
مِنْ أنْ يكونَ لهَا - ذاتَ يومٍ - أخٌ !!
مِنْ أبٍ يتبسَّمُ فِي عُرسِهَا ..
وتعودُ إليهِ إذا الزوجُ أغضبهَا ..
وإذا زارهَا .. يتسَابقُ أحفادُهُ نحو أحضَانِهِ ،
لينالوا الهَدايَا ..
ويلهو بلحيتهِ (وهوَ مُستَسلمٌ)

ويشدُّو العَمَامَهْ .
لا تُصَالِحْ
فمَا ذنبُ تلكَ اليمَامَهْ
لترَى العُشَّ مُحْترقاً .. فجْاةً ،
وهِي تجلسُ فوقَ الرَّمَادْ ؟!

(4)

لا تُصَالِحْ
لا تُصَالِحْ
ولو توَّجُوكَ بتاجِ الإمَارهْ
كيفَ تخطو على جثَّةِ ابنِ أبيكِ .. ؟
وكيفَ تصيرُ المَلِيكْ ..
على أوجهِ البَهْجَةِ المُستعَارَهْ ؟
كيفَ تنظرُ في يَدِ مَنْ صَافحُوكَ ..
فلا تبصرُ الدَّمَ ..
في كلِّ كفْ ؟
إنَّ سهمَاً أتاني مِنْ الخلفِ ..
سوفَ يجينُكَ مِنْ ألفِ خلفْ
فالدمُ - الآنَ - صارَ وسامًا وشارَهْ
لا تُصَالِحْ ،
ولو توَّجُوكَ بتاجِ الإمَارهْ
إنَّ عَرْشَكَ : سَيفٌ
وسيفُكَ : زيفٌ
إذا لمْ تزنْ - بذوَّابتِهِ - لحَظاتِ الشَّرفْ
واستطبْتَ - التَّرَفْ

(5)

لا تُصَالِحْ
ولو قالَ مَن مَالَ عندَ الصِّدامْ
".. ما بنا طاقةٌ لامتشَاقِ الحُسَامْ .. "
كيفَ تستنشقُ الرئتانِ النسيمَ المُدنَّسْ ؟

obeikan.com

كيفَ تنظرُ في عَيني امرأةٍ ..
أنتَ تعرفُ أنكَ لا تستطيعُ حِمَايتهَا ؟
كيفَ تصبحُ فارسهَا في الغرامْ ؟
كيفَ ترجو غداً .. لوليدٍ ينامْ
كيفَ تحلمُ أو تتغنى بمستقبلِ لغُلامْ
وهْو يكبرُ - بينَ يديكَ - بقلبٍ مُنكسْ ؟
لا تُصَالِحْ
ولا تقتسِمْ مَعَ مَنْ قتلوكَ الطعَامْ
وارو قلبكَ بالدَّمْ ..
وارو الترابَ المُقدسْ ..
وارو أسلافكَ الرَّاقِدينَ ..
إلى أنْ تردَّ عليكَ العِظَامْ !

(6)

لا تُصَالِحْ
لا تُصَالِحْ
ولو ناشدتكَ القبيلةْ
باسمِ حزنِ "الجَليلةْ"
أنْ تسوقَ الدَّهَاءَ
وتُبدِي - لمَنْ قصَدُوكَ - القبولْ .
سيقولونَ :
ها أنتَ تطلبُ ثأراً يطولُ
فخذْ - الآنَ - ما تستطيعُ :
قليلاً من الحقِّ ..
في هذهِ السنواتِ القليلْ.
إنهُ ليسَ ثأركَ وحْدكَ ،
لكنهُ ثأرَ جيلٍ فجيلُ .
وغداً ..
سوف يولدُ مَنْ يلبسُ الدِّرْعَ كاملةً ،
يوقدُ النارَ شاملةً ،
يطلبُ الثأرَ ،

obeikan.com

يستولدُ الحَقَّ ،
من اضْلُـعِ المستحيلْ .

لا تُصَالِحْ
ولو قِيلَ إنَّ التصالحَ حيلهْ .
إنه الثأرُ
تبهتُ شُعلتهُ في الضلوعِ ..
إذا مَا توالتْ عليهَا الفصولْ ..
ثمَّ تبقى يدُ العَار مرسومةً (بأصابعهَا الخمس)
فوقَ الجبَاهِ الذليلهْ !

(7)

لا تُصَالِحْ ، ولو حذرتْكَ النجومْ
ورمَى لكْ كهَّانُهَا بالنبأ ..
كنتُ أغفرُ لو أنني ميتٌ..
مَا بينَ خيطِ الصَّوابِ وخيطِ الخطأ
لمْ أكنْ غازياً
لمْ أكنْ أتسللُ قربَ مَضَاربِـهمْ
أو أحومُ وراءَ التخومْ
لم أمدّ يداً لثمَار الكرومْ
أرضَ بستانِهمْ لمْ أطأ
لمْ يَصِحْ قاتلِي بي : " انتبِهْ " !
كانَ يمشي معِي ..
ثمَّ صَافحنِي ..
ثمَّ سَارَ قليلاً
ولكنهُ في الغصونِ اختبَأ !
فجأةً :
ثقبتنِي قشعريرة بين ضلعين ...
واهتزَّ قلبي - كفقاعةٍ - وانفثأ .
وتحَامَلتُ ، حتى احتملتُ على سَاعِدِيَّ
فرأيتُ : ابنَ عمِّي الزنيمْ
واقفاً يتشفَّى بوجهٍ لئيمْ

لمْ يكنْ في يدي حربةٌ ،
أو سلاحٌ قديمْ ،
لمْ يكنْ غيرُ غيظِي الذي يتشكّى الظمَا .

(8)

لا تصَالحُ ..
إلى أنْ يعودَ الوجودُ لدورتهِ الدائرَهْ :
النجومُ .. لميقاتِهَا
والطيورُ .. لأصواتِهَا
والرِّمَالُ .. لذرَّاتِهَا
والقتيلُ لطفلتِهِ النَاظِرَهْ
كلُّ شيءٍ تحطَّمَ في لحظةٍ عَابِرَهْ :
كلُّ شيءٍ تحطَّمَ في لحظةٍ عَابرهْ :
الصَّبَا ـ بهجَةُ الأهل ـ صوتُ الحِصَانِ ـ التعرُّفُ بالضَّيفِ ـ هَمْهَمَةُ القلبِ حينَ يَرى بُرْعُمَاً في الحَدِيقةِ يذوي ـ الصَّلاة لكي ينزلَ المطرُ الموسميُّ ـ مراوغةُ القلبِ حينَ يَرى طائرَ المَوتِ
وهو يرفرفُ فوقَ المبارزةِ الكاسِرَهْ
كلُّ شيءٍ تحطَّمَ في نزوةٍ فاجرَهْ
والذي اغتالني : ليس ربَّاً
ليقتلني بمشيئتهِ
ليسَ أنبلَ مني .. ليقتلني بسكينتِهِ ،
ليسَ أمهرَ مني .. ليقتلني باستدارتِهِ المَاكرَهْ
لا تُصَالِحْ ،
فمَا الصُّلحُ إلا معاهدةٌ بينَ ندَّين ..
(في شرفِ القلبِ)
لا تُنتقصْ
والذي اغتالني مَحضُ لِصْ
سرقَ الأرضَ من بين عينيَّ
والصَّمتُ يُطلقُ ضحكتهُ السَّاخِرَهْ !

(9)

لا تُصَالِح
ولو وَقفتْ ضدَ سيفكِ كلُّ الشيوخْ
والرِّجالُ التي ملأتهَا الشروخْ ،
هؤلاءِ الذينَ يُحبِّونَ طعمَ الثريدْ ،
وامتطاءَ العَبيدْ ،
هؤلاءِ الذينَ تدلَّتْ عَمَائِمُهُمْ فوقَ أعينهمْ
وسيوفُـهُمْ العَربيةُ ، قدْ نسيتْ سنواتِ الشموخْ
لا تُصَالِحْ
فليسَ سِوى أنْ تريدْ
أنتَ فارسُ هذا الزمَانِ الوحِيدْ
وسِواكَ .. المُسُوخ !

(10)

لا تُصَالِحْ
لا تُصَالِحْ

*****

نوفمبر " تشرين الثاني" 1976

obeikan.com

(أقـوال اليمامة)

*****

" فلما جاءت الوفود ساعية إلى الصلح ، قال لهم الأمير سالم : أصالح إذا صالحت اليمامة.. فقصدت اليمامة أمها الجليلة ، ومن معها من نساء سادات القبيلة ، فدخلن إليها ، وسلمن جميعا عليها ، وقبَّلت الجليلة بنتها ، وقالت: أما كفى ؟ فقد هلكت رجالنا ، وساءت أحوالنا ، وماتت فرساننا وأبطالنا ، فأجابتها اليمامة : أنا لا أصالح ، ولو لم يبق أحد يقدر أن يكافح .. " .

(1)

أبي .. لا مزيدْ !
أريدُ أبي عندَ بوابةِ القصر ،
فوقَ حصانِ الحقيقةِ ،
مُنتصِبَاً .. مِنْ جَدِيدْ
ولا أطلبُ المستحيلَ ، ولكنهُ العَدْلُ :
هَلْ يرثُ الأرضَ إلا بنُوهَا ؟
ولا تتناسَى البسَاتينُ مَنْ سكنوهَا ؟
وهَلْ تتنكرُ أغصَانُهَا للجذور ..
(لأنَّ الجذورَ تهاجرُ في الاتجَاهِ المُعَاكِسِ ؟)
هَلْ تترنَّمُ قيثارةُ الصَّمتِ ..
إلا إذا عَادتْ القوسُ تذرعُ أوتارهَا العَصَبيَّةَ ؟
والصَّدرُ ! حتى متى يتحمَّلُ أنْ يحبسَ القلبَ ..
قلبي الذي يُشبهُ الطائرَ الدَّمويَّ الشَّريدْ ؟

... ...

هِيَ الشمسُ ، تلكَ التي تطلعُ الآنَ ؟
أمْ أنهَا العَينُ - عينُ القتيلِ - التي تتأملُ شاخصةً :
دَمَهُ يترسَّبُ شيئاً فشيئاً .
ويخضرُّ شيئاً فشيئاً ..
فتطلعُ مِنْ كلِّ بقعةِ دَمٍ : فمٌ قرمزيٌّ ..

وزهرةُ شَرَّ ..
وكفّانِ قابضتَانِ على منجلٍ مِنْ حَدِيدْ ؟
هي الشمسُ ؟ أم أنهَا التاجُ ؟
هذا الذي يتنقلُ فوقَ الرؤوسِ إلى أنْ يعودَ
إلى مفرقِ الفارسِ العَربيِّ الشهيدْ ؟
... ...

أقولُ لكمْ : أيُّهَا الناسُ كونوا أناسَا !
هِيَ النارُ ، وهْيَ اللسَانُ الذي يتكلمُ بالحَقّ !
إنَّ الجروحَ يطهرهَا الكيُّ ،
والسيفَ يُصقلُهُ الكيْرُ ،
والخبزَ يُنضجهُ الوهجُ ،
لا تدخلوا معمدانيةَ المَاءِ ..
بلْ مَعْمَدَانيةَ النارِ..
كونوا لهَا الحَطبَ المُشتهَى والقلوبَ : الحِجَارةَ ،
كونوا .. إلى أنْ تعودَ السَّمَاوات زرقاءَ ،
والصحراءُ بتولا ..
تسيرُ عليهَا النجومُ مُحَمَّلةً بسلالِ الورودِ ،
... ...

أقولُ لكمْ : لا نهايةَ للدمِ..
هلْ في المدينةِ يضربُ بالبوقِ ، ثمَّ يظلُ الجنودُ
على سررِ النومِ ؟
هلْ يرفعُ الفخُّ من سَاحَةِ الحقلِ.. كي تطمئنَّ العَصَافيرُ ؟
إنَّ الحَمَامَ المُطوّقَ ليسَ يقدِّمُ بيضتهُ للثعابينِ..
حتى يسُودَ السَّلامُ ،
فكيفَ أقدِّمُ رأسَ أبي ثمنا ؟
مَنْ يُطالبني أنْ أقدِّمَ رأسَ أبي ثمناً ..
لتمرَّ القوافلُ آمنةً ،
وتبيعُ بسوقِ دمشقَ : حريراً من الهندِ ،
أسلحةً من بخارى ،
وتبتاعُ مِنْ بيتِ جَالا العَبيدْ ؟

(مراثي اليمامة)

*****

صارَ ميراثُنا في يدِ الغرباءِ .
وصَارتْ سيوفُ العَدو : سقوفَ منازلنا .
نحنُ عَبَّادُ شمسٍ يشيرُ بأوراقِهِ نحو أروقةِ الظلِّ ،
إنَّ التويجَ الذي يتطاولُ
يخرقُ هامتهُ السقفُ ،
يخرطُ قامتهُ السيفُ ،
إنَّ التَّويجَ الذي يتطاولُ
يسقطُ في دمهِ المُنْسَكِبْ !
نستقِي - بعدَ خيلِ الأجَانبِ - من مَاءِ آبارنَا
صُوفَ حِملانِنا ليسَ يلتفُّ إلا على مغزلِ الجِزيَةِ ،
النارُ لا تتوهَّجُ بينَ مضاربنَا .
بالعيونِ الخفيضَةِ نستقبلُ الضيفَ .
أبكارُنا ثيِّباتٌ ..
وأولادُنا للفِراشْ ..
ودراهمُنا فوقَهَا صُورةُ المَلكِ المُغتَصِبْ ..
أيادِي الصَّبايا الحَنَائِنْ
تضُمُّ على صَدرِهِ نصفَ ثوبٍ .
وتبقى عيونُ كليبٍ مُسَمَّرَةً في شَواشِي الجَنائِنْ .

***

أسَائِلُ :
مَنْ للصِّغارِ الذينَ يطيرونَ - كالنحلِ - فوقَ التلالِ ؟
ومَنْ للعذارَى اللواتِي جَعَلْنَ القلوبَ :
قوارِيرَ تحفظُ رائحةَ البُرتقالِ ؟
ومَنْ سيروضُ مُهْرَ الخيالِ ؟
ومَنْ سَيُضَمِّدُ - في آخرِ الصَّيْدِ - جُرْحَ الغزالِ ؟
ومَنْ للرِّجَالِ ..
إذا قيلَ " مَا نسبُ القومِ " ؟
فاتسكبتْ في خدودِ الرِّمَالِ دموعُ السؤالِ ؟

بناتُ أبي - الزهراتُ الصغيراتُ - يَسألنني :
لِمَ أبكي أبي !
ويبكينَ مِثلي ،
ويخلدنَ للنومِ حينَ أغالبُ دمعي ،
وأروي لهنَّ الحكايَا
عنْ المَلكِ النسرِ
والمَلكِ الثعلبِ

فانْ نِمْنَ .. جَاءَ أبي .. ليهزَّ الأراجيحَ ..
يلمسُ وجناتهنَّ ..
ويعطي لهنَّ اللعبْ ..
ويمضِي .. وعيناهُ مُسبلتانِ ..
وسَاقاهُ تشتكيانِ التعبْ ..
أبي ظامئٌ يَا رجَالْ
أريقوا له الدمَ كي يرتوي
وصبُّوا لهُ جُرْعةً جُرْعةً في الفؤادِ الذي يكتوي
عسى دمُهُ المتسرِّبُ بينَ عُروقِ النباتاتِ ،
بينَ الرِّمَالِ ..
يعُودُ لهُ قطرةً قطرةً ..
فيعودُ لهُ الزمنُ المنطوي ..
... ...

(2)

خصومةُ قلبي مع اللهِ .. ليسَ سِوَاهُ
أبي أخذَ المُلكَ سيفاً لسيفٍ ، فهلْ يؤخذُ المُلكُ
منهُ اغتيالا ،
وقدْ كللتهُ يدا اللهِ بالتاجِ ؟!
هَلْ تنزعُ التاجَ إلا اليدانِ المُبَاركتانِ ،
وهَلْ هَانَ ناموسُهُ في البريَّةِ
حتى يُتوِّجَ لصٌّ .. بمَا سرقتهُ يَدَاهُ ؟
خصومةُ قلبي مع اللهِ ..
إني أنزِّهُ سهمَ منيتهِ أنْ يَجِيءَ مِنْ الخلفِ ،

إنَّ الذي يُطلقُ السَّهمَ ليسَ هو القوسُ ..
بلْ قلبُ صَاحِبِهِ ،
والذي يجعلُ النفسَ تستقبلُ المَوتَ راضيةً .. نبلَ واهِيهِ ،
فأنا أرفضُ المَوتَ غدراً ..
فهَلْ نزلَ اللهُ عن سهمِهِ الذهَبيِّ لمَنْ يَستهينُ بهِ
هَلْ تكونَ مكانَ أصَابعِهِ .. بَصمَاتُ الخُطاهْ ؟

***

خصُومَةُ قلبي مَعَ اللهِ .. ليسَ سِوَاهُ !
كليبٌ يَمُوتُ ..
ككلبِ تصَادِفُهُ في الفَلاةِ ؟
إذنْ فلمَاذا كسَا وجهَهُ الصُّورةَ الآدميَّةَ ؟
هَلْ كرَّمَ اللهُ إنسَانَهُ ؟
مَاتَ مَنْ مَاتَ كلباً .. فأينَ إذنْ ذهبَ الآدميُّ الذي
قدْ بَرَاهُ ؟
خصومةُ قلبي مع اللهِ
قلبي صغيرٌ كفستقةِ الحزنِ .. لكنهُ في الموازينِ
أثقلُ من كفةِ المَوتِ ،
هَلْ عَرفَ الموتُ فقدَ أبيهِ ،
هَلْ أغترفَ المَاءَ مِنْ جدولِ الدمعِ ،
هَلْ لبسَ المَوتُ ثوبَ الحِدَادِ الذي حَاكهُ .. ورَمَاهُ ؟
خصومَةُ قلبي مع اللهِ
أينَ وريثُ أبي ؟
ذهبَ المُلكُ ،
لكنَّ لاسمِ أبي حقَّ أنْ يتناقلهُ ابنُهُ عنهُ
فكيفَ يمُوتُ أبي مرتين ؟
أيتهَا الأنجُمُ المُتلونةُ الوجهِ :
قولِي لهُ :
قد سَلبتَ حَياتين ..
أبقِ حَيَاهْ ..
وردَّ حَيَاهْ ..

خصومَةُ قلبي معَ اللهِ.
هَذا الكمَالُ الذي خلقَ اللهُ هيئتهُ ،
فكسَا العظمَ باللحمِ،
هَا هَو : جسماً - يعودُ لهُ - دونَ رأسٍ،
فهَلْ تتقبّلُ بوابةُ الغيبِ مَنْ شَابَهُ العَيبُ ،
أمْ أنْ وجَهَ العَدَالةِ :
أنّ يَرْجعَ الشلوَ للأصلِ،
أنْ يَرْجعَ البَعْدُ للقبْلِ،
أنْ ينهضَ الجَسدُ المتمزقُ مُكتملَ الظلّ
حتى يَعُودَ إلى اللهِ.. مُتّحِداً في بَهَاهُ ؟

(3)

يَجيءُ أخي
هَلْ عبَاءتُهُ الرِّيحُ ؟
هَلْ سيفُه البرقُ ؟
هَلْ يتمنطقُ فوقَ جَوادِ السَّحَابْ ؟
يَجيءُ أخي !
غافلاً عن كتابِ المَواريثِ
عن دمِهِ المَلكِي ،
عن الصّولجَانِ الذي صَارَ مَقبضهُ العَاجِ:
رأسُ غُرَابْ !!
يَجيء أخي
(كانَ يعرفهُ القلبُ !)
اقذفْ تفاحةً
يتصدّى لهَا وهو يطحنهَا بالركابِ !
(هِي الخطأ البشري الذي حرمَ النفسَ فردوسَهَا
الأولَ المُستطابْ)
انْني ، فاقذفْ تفاحَةً ..
تستقرُّ على رأسِ حَربتِهِ !

(أيُّهَا الوَطنُ المُستديرُ .. الذي تثقبُ الحَربُ عُذرتهُ
بالحِرَابِ)
.. وتفاحَةً تتلقفهَا يدُهُ !
(هِي جَوْهَرَةُ المُلكِ ،
جَوْهَرَةُ العَدْلِ ،
جَوْهَرَةُ الحبِّ ..
فالحُبُّ آبْ !)
قلوبُ ثلاثيةُ شَارةُ الزَّمنِ القادمِ المُستجَابْ
قفوا يَا شبابْ !
لمَنْ جَاءَ مِنْ رحمِ الغيبِ ،
خاضَ بسَاقيهِ في بركةِ الدمِ.
لمْ يتناثرْ عليهِ الرشاشُ ،
ولمْ تبدُ شائبةٌ في الثيابْ !
قفوا للهلالِ الذي يستديرُ ..
ليُصْبحَ هَالاتَ نورٍ على كلِّ وجْهٍ وبَابْ !
قفوا يَا شبَابْ !
كليبٌ يعودُ
كعنقاءَ أحرقتْ ريشهَا
لتظلَّ الحقيقةُ أبهَى ..
وترجعُ حُلتهَا - في سنا الشمسِ .. أزهى ..
وتفردُ أجنحَةَ الغدِ ..
فوقَ مَدائنَ تنهضُ مِنْ ذكرياتِ الخِرَابْ !!

*****

obeikan.com